

اللاعنف في فكر الامام السجاد بين المسكوت عنه والاصلاح الفكري (دراسة في نظرية اللاعنفي في الاسلام للامام الشيرازي)

أ.د. صلاح كاظم جابر

كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة:

قال الامام السجاد (ع) (إنَّ كلَّ صمت ليس فيه فكر فهو عيٌّ)

يلعب الحدث الديني دورا اساسيا في تشكيل السلوك الانساني، باعتباره المثال الذي يقدمه الاسوة المأمور باتباعه دينيا، فضلا عن ارتباط هذا المثال المباشر بالتعاليم الدينية الاساسية. اذ يكون هذا الاسوة احد اهم مصادر هذه التعاليم. لقدرة على الملازمة بين الحديث والحدث الديني. من جهة وواقع التغيرات الاجتماعية ومتطلبات العصر من جهة اخرى. فالجهاد كواجب ديني متعدد الاشكال والصيغ الا ان الجهاد بالكلمة يعد واحداً من اهم أشكال الجهاد في الاسلام بل هو أفضل، فقد ورد عن رسول الله (ص) (إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر). لأن الحفاظ للإسلام إنما يتم ببقاء أفكاره وقيمه. شكلت هذه الثيمة عنصرا مركزيا في فكر وسيرة الامام السجاد (ع). اذ يرى ان الآخر (المعادي) جوانيا كان ام برانيا انما يستهدف الأفكار والقيم.

يعد الإمام الشيرازي واحدا فقهاء المذهب الشيعي الاصلاحيين الذين حاولوا اعلاء كلمة الإسلام الواحد (اسلام محمد). من خلال الاقتداء بالمضامين الفكرية للآيات القرآنية التي تمثل الحديث الديني مدعومة بالعمل، بأقوال وسنن الرسول وآل بيته الأطهار التي مثلت بدورها الحدث الديني. فحاول اعادة ترصين البناء الاسلامي. بالنظر الى الاختلاف الديني والمذهبي على انه رحمة يمكن ان تعمل على ترصين بناء الامة، وليس موردا للصراع الذي عمل على تفكيك بنائها. من خلال ما اثارته الجماعات المغرضة السياسية منها والاجتماعية من مواطن الخلاف لتحقيق مارب تتقاطع في الكثير من الاحيان مع صلب المبادئ والتعاليم الاسلامية. فعمل من خلال اعادة البناء الفكري على اصلاح حال الامة بطرحه نظريته التي تضمنت العمل بمبدأ اللاعنفي بكل مستوياته.

امن الشيرازي باللاعنف ايمانا مطلقا. اذ يرى وجوبه في ظل أشد الظروف الداخلية قمعية. التي جهدت فيها المؤسسة السياسية لتوظيف الفكر الديني لخدمة ماربها بما مهد لـ(ظهور الفرق المتناحرة التي يكفر بعضها بعضا). الامر الذي هدد البناء الديني للإسلام في العالم بشكل عام، وفي العالم الاسلامي بشكل خاص بما خلق من تحديات. لأنه يرى ان اللاعنفي سلوك سياسي لا يمكن

فصله عن القدرة الداخلية الروحية على التحكم بالذات ومعرفة النفس. لذا فهو أسلوب الذين يرفضون السلبية والخضوع، القائم على محاولة تجنب او تجاهل تأثيرات الصراعات الداخلية على واقع ومستقبل المجتمعات. فشكل مصدرا مهما لفاعلية العمل في المجال السياسي المعارض. الذي ارتكز بدوره على استخدام القدرات بفعالية لتحقيق التغيير والتمدن ومواكبة حركة التاريخ والتطور الطبيعي. هنا نجد ان الشيرازي يتفق مع ما توصل اليه علماء النفس والنفس الاجتماعي وعلماء الاجتماع. بان الدين علاقة روحية بين الانسان وما يعبد، اللاعنف واحدة من اهم ملكات هذه الروح، (الإنسان ابن عوانده) لا تظهر او تنمو ملكاته الا بالتطبيع والتدريب من خلال عملية التنشئة الاجتماعية بما تتضمنه من التنشئة الدينية.

المقدمة

تميز النصف الثاني من القرن الاول الهجري بظهور العديد من التغيرات الاجتماعية الجذرية. السياسية (تحول الخلافة الى ملك عضوض وانتقال مركز الحكم من الكوفة او المدينة الى الشام)، والاجتماعية (ظهور الفئات الاجتماعية المداينة للسلطة من اجل تحقيق ماربها الخاصة على حساب البناء الاجتماعي)، والثقافية (التفاعل الحضاري بين العرب وسكان البلاد المفتوحة التي دخلت الاسلام عنوة، وظهور الثورات والتمردات السياسية ذات الصبغة الدينية). بما انطوت عليه هذه التغيرات من تغيرات دينية (ظهور الاتجاهات الدينية التي تبلورت لاحقا الى فرق ومذاهب دينية متصارعة يكفر بعضها البعض الاخر).

حدث ذلك في حياة من تبقى من المسلمين الاوائل (الصحابة) الذين عايشوا رسول الله (ص) تربوا على نهجه وخصوصا ال بيته الاخيار (ع). الذين وعوا ما خطه الرسول لهذا المجتمع من طريق حدد مساره الديني. لقد كان المحرك الاساسي لهذه التغيرات ما عملته مركزية السلطة السياسية من اخضاع هذا المجتمع المتدين بالقوة الغاشمة، للرضوخ الى ما تمليه من احكام تقترب في شكلها من المضمون الاسلامي. الا انها ابتعدت بالمجتمع عن المجرى الديني الذي خطه النص التأسيسي (القرآن والسنة النبوية المطهرة). فضلا عن تأثيرات المال السياسي في المصالح الفردية. التي دفعت ببعضهم عن المسار الديني الى حد الشطط عن الاسس الدينية العامة. بوصفها المبادئ التي يجب ان يقوم عليها البناء الديني للمجتمع الاسلامي. شكل الاختلاف في حياة الرسول الكريم، او في حياة الخلفاء الراشدين حول مسألة الخلافة رحمة بالأمة لخلوه من الصراعات الداخلية المسلحة من اجل الحكم.

فاسهم هذا الاختلاف في تثبيت دعائم الدولة الوليدة. من خلال توحيد اتجاهاتهم نحو هذه المسألة التي تحتل من الحساسية الاجتماعية ما يمكن ان يشكل تهديدا مباشرا لأقوى البناءات الاجتماعية في

اي مجتمع. خصوصا اذا كان هذا المجتمع حديث النشأة كما هو حال المجتمع الاسلامي في النصف الثاني من القرن الاول الهجري. دفعت المسؤولية الدينية الصحابة وال البيت نحو اعادة توظيف الفكر الديني (من التحشيد من اجل الحرب المقدسة (الجهاد) نحو نشر الوعي الديني الحقيقي). الذي ساهم بشكل مباشر في ما حققه الصحابة الاوائل من توسيع الرقعة الجغرافية للمجتمع الديني على حساب حضارات كان يحسب لها حسابها التاريخي لتحويل مراكز القوة وادارة الحياة الاجتماعية في المجتمع الاسلامي الذي ما زال فتيا نحو المركزية الدينية لا السياسية. (الباحث)

المبحث الاول

اولا - مشكلة البحث

تتركز موضوعة البحث في الدور الاجتماعي والديني السلمي للإمام السجاد. الذي ابرز اهمية اللاعنفي في بلورة الوعي الديني في المجتمع الاسلامي في القرن الاول الهجري، بعد تعرض الدين الى العديد من الهزات الاجتماعية والثقافية. التي يمكن ان نصفها بأنها هددت البناء الاجتماعي للمؤسسة الدينية في ذلك المجتمع. ان ما يشكله الامام من اسوة حسنة للاقتداء بها في مجتمعاتنا التي تتميز بطابعها الاسلامي، التي تعاني من تفشي الصراعات العنيفة على مستوى الجماعات الدينية والاجتماعية في ضل العديد من المبررات التي تأخذ من التعاليم الدينية. التي انتجها الفقهاء في القرون الهجرية اللاحقة غطاء لها.

ثانيا - اهمية البحث تتمركز اهمية البحث حول نقطتين اساسيتين هما

- ١- بيان ان السكوت عن توظيف القوة برغم وجود الفرصة ينطوي على فكر ينظر الى الامور ابعد من تصورات البعض المحدودة. فيجعلون من عدم السكوت واستغلال الفرص مبررا لعدم احتساب النتائج والعواقب. وفق ما اشره حديث الامام السجاد الوارد في مستخلص البحث.
- ٢- بيان ان صراع الكل ضد الكل. سيعمل لا محالة على تفكيك البناء الاجتماعي والفكري للدين الذي يعتبر اهم الغايات التي يتبناها الكل. المعلنة منها في الاقل.

ثالثا - اهداف البحث يمكن تلخيص اهداف البحث بالنقاط الاتية:

- ١ - التعرف على احد ابرز المباني الدينية التي اعتمدها الامام الشيرازي في بناء نظرية اللاعنفي في الاسلام من الحديث او الحدث الديني بما يسهم في تجاوز خلاف التأويل والتفسير للنصوص التأسيسية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالنسبة للفرق والمذاهب.
- ٢ - التعرف على تأثير نموذج اللاعنفي في المعارضة السياسية والدينية الذي تمثل في فكر وسيرة الامام السجاد في منع دفع التفسيرات الدينية باتجاه المصالح السياسية والاجتماعية.

٣- التعرف على اهمية اللاعنف في تجنب المجتمع استخدام المؤسسة السياسية للعنف المفرط في قمع المعارضة السياسية ذات الصبغة الدينية كما حدث في واقعتي (الحرّة وعين الوردية).

٤- التعرف على اهمية الوسائل السلمية في الاصلاح السياسي والديني في فكر الامام السجاد

المبحث الثاني تحديد المفاهيم

الامام السجاد هو علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) رابع ائمة الشيعة الامامية، الجعفرية، الاثني عشرية. ولد في المدينة المنورة عام ٣٦هـ لقب بالعديد من الالقاب التي انحصرت في وصف الاطار التديني الذي تميز به الامام زين العابدين، الناجي الوحيد من رجال ال البيت الذين رافقوا الامام الحسين في معركة الطف. تولى امامة المسلمين (راس السلطة الدينية) وهو ابن ٢٣ عام واستمر فيها ٣٣ سنة حتى وفاته عام ٩٢ هـ في المدينة المنورة عن عمر ناهز ٥٦ سنة. من اشهر اولاده هما الامام زيد بن علي صاحب الشيعة الزيدية والثورة ضد فساد نظم الحكم في الدولة الاسلامية والامام محمد الباقر خامس ائمة الشيعة الاثني عشرية، والامام اشهر من ان يعرف بهذه السطور.^١

المسكوت عنه

يرتبط المسكوت عنه بالدين بعملية استنتاج النص الشرعي لاستصدار التعاليم الدينية. على شكل فتاوى ملزمة للفرد السائل، وكل الاتباع الذين يلتزمون النهج الذي يتبعه رجل الدين.^٢ تعتمد مستوياته على مستويات قدسية النص. فما سكت عنه القران هو هامش من الحرية تركه سبحانه وتعالى لتقديرات النبي او الفقيه، ما سكت عنه النبي هو الحرية التي تركها للفقهاء (ورثة الانبياء) لإصدار تعاليم تناسب وواقع الحياة الاجتماعية للمجتمع والعصر. لذا يعرف بانه احجام الشارع عن بيان ضوابط التحريم او الاحكام العامة وتركها للاجتهادات الفقهية المختلفة كما في حد القطع.^٣

المسكوت عنه مأمور به دينيا في الاسلام بالاستناد الى قوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا)^٤، وفي الاحاديث النبوية الشريفة (روى الدار قطني عن ابي ثعلبة ان رسول الله (ص) قال (ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) وعن سلمان المحمدي (رض) قال: قال رسول الله (ص) (الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا لكم)^٥

يتم اثار السكوت عن التشريع الديني في الكثير من القضايا الدينية والاجتماعية المتعلقة بالالتزام الديني الفردي والجمعي. خصوصا تلك القضايا التي يقبلها المجتمع ويمارسها رغم رفض الدين. وبالعكس! يحجم رجال الدين عن بيان رأي الدين الصريح فيها لأسباب متعددة. اهمها

الخوف على مرتكب الفعل او منه فردا كان ام جماعة ام مجتمعا. او مسايرة الفلسفة او السياسة الدينيتين في الدولة. او الحفاظ على القبول والمكانة الاجتماعية لرجل الدين، فضلا عن مصالحه الاقتصادية.^٥

السكوت واجب وليس خيارا خصوصا في الحالات التي يكون فيها الحديث اطلاقا لحكم. يستخدم لتمرير بعض الاحكام الدينية الشاقة (كوجوب صلاة الليل) او الفرائض للحفاظ على الحد الأدنى من الالتزام بها. فقد روي عن رسول الله (ص) قوله (فرض الله عليكم الحج فحجوا. فسأل رجل أكل عام يا رسول الله فسكت. حتى قالها ثلاثا. فقال لو قلت نعم لفرضت ولما استطعتم). ينصح عدم السؤال في المسائل الاشكالية التي يمكن تجنبها بمجموعة من الاستجابات السلوكية (تلك حدود الله فلا تقربوها).^٦ لان كثرة التحريمات ترتبط بمشاق الشريعة. فقد روي عن الرسول نهيه عن السؤال فقد قال (ص) (لا تسألوني لئلا تحرم وتشق عليكم)، وقوله (ص) (لا تفعلوا كما فعل بنو اسرائيل في البقرة فظلموا انفسهم)، وغيرها الكثير من الاحاديث والمواقف التي يحبذ فيها الرسول التصرف المباشر على السؤال عن موقف الدين منها.^٦ المسكوت عنه في علم الاجتماع الديني هو كل الاحكام او التفسيرات الدينية غير المعلنة او غير المصرح بها لسبب ما رغم وجود الحاجة الاجتماعية لها.

الاصلاح الفكري الاصلاح في اللغة هو الضد من الفساد. كما انه اعادة تنظيم وترتيب تقوم على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية عند افراد المجتمع. يتم به اعادة القدرة على الفعل الاجتماعي الايجابي للوظائف والادوار التي تؤديها الأسواق الاجتماعية. لتؤدي بدورها بطريقة غير سليمة كونها لا تعمل على تحقيق الاهداف والغايات الاجتماعية العامة.^٧ اما الاصلاح في اللغة الانكليزية فهو (reform) يشير الى عملية التغيير التي تجري على النموذج للوصول الى تحسينه. او هو عملية تعديل النظم الاجتماعية* الفاسدة دون تغيير البناء. او هو عملية تعديل الاداء الوظيفي السيء للنسق.^٨ فالاصلاح حركة فكرية تقوم على الوعي بأهمية الحاجة له. يبني على خطاب يعمل على تحويل الافكار والتوجهات النظرية الى واقع اجتماعي. بتمثلها على شكل فعل اجتماعي.^٩

التوافق في الاهداف والغايات بين المؤسسات الاجتماعية المؤلفة للبناء الاجتماعي وخصوصا المؤسسات الدينية والسياسية. يلعب الدور الاهم في استقرار المجتمعات وتضامنها وتطورها وتقدمها. لانهما يمتلكان اكثر السلطات فاعلية في حياة المجتمعات. بما يجعل من هذه العملية ممكنة. وهو امر صعب في مجتمعاتنا الشرقية، الاسلامية، العربية، منها مجتمعنا العراقي. لصعوبة الوصول الى التوافقات بينهما. الامر الذي لا يعني ان الاصلاح لا يقوم الا اذا توافقتنا. بل يمكن ان يقوم عندما تمارس اي المؤسسات سلطتها لتفرضه على المؤسسات الاخرى. اذ تلعب الفاعلية الاجتماعية لكل مؤسسة دورها في تحقيقه بمقدار استقلالها وتضمنه في اهدافها.^{١٠}

الاصلاح مشروع تبديل جزئي او تام لنظام يشعر ويعي الافراد فساداه وضرورة اصلاحه،
الاصلاح الفكري هو كل مشروع تتبناه احد المؤسسات الاجتماعية بغية الخروج من مازق التخلف
والواقع المتردي الذي يعيشه المجتمع.^{١١}

نظرية اللاعنف في الاسلام

ان تلخيص بناء نظري قام على مشروع فكري ارتكز الى العديد من الدراسات الفقهية فضلا عن
الفكرية منها بعجالة. يقع على جانب كبير من الصعوبة. لا يتم ذلك الا ببيان اكثر معانيه عمومية لذا
يلخصه الباحث بـ(الزام الانا الدينية بضرورة تقديم الوسائل السلمية في معاملة الناس افرادا او
جماعات. مهما كانت مواقفهم من القضايا الاجتماعية بكل مضموناتها (السياسية والاقتصادية
والتربوية والاسرية والدينية). التي تمثل عناصر البناء الاجتماعي لكل المجتمعات بالاعتماد على
الاصول الدينية. بوصفها الصورة الحقيقية للإسلام الايماني بصورته المكية (وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين)*. بدءا من تحريم القتل وانتهاء بالمجادلة بالتي هي احسن مع الآخر بكل صورته، حتى في
التعامل مع الحدود (ادروا الحدود بالشبهات) بعد التغلب على التطرف في الممارسة الدينية).
بالاعتماد على النصوص التأسيسية. التي تمثل الحديث الديني وسيرة الرسول واله وصحبه التي لا
يختلف عليها المسلمين بوصفها حدثا دينيا.*

الامام الشيرازي (١٩٢٨ - ٢٠٠١)

ينتسب الامام محمد بن مهدي بن حبيب الله الحسيني الشيرازي الى اسرة الشيرازي. التي
اشتهرت بانتساب الكثير من مراجع الدين الشيعة الفاعلين والمجددين وقادة الثورات اليها كـ(محمد
حسن الشيرازي قائد ثورة التنبك في ايران، محمد تقي الشيرازي الذي قاد ثورة العشرين في
العراق). عرف بغزارة علمه وموسوعيته في الكتابة والتأليف. يعد أحد اهم مراجع الدين الشيعة في
القرن العشرين من المعروفين بميلهم للإصلاح والتجديد الفكري في المذهب الشيعي في كلا من
العراق وإيران. لذا عرف بالقاب عديدة اهمها الإمام والمجدد والشيرازي الثاني.^{١٢}

عالج فكر الامام الشيرازي شتى القضايا الحيوية الا ان التربية الدينية الاسلامية المتسامحة
التغييرية احتلت مساحة كبيرة جدا من اهتماماته، عكسها على ارض الواقع من خلال ادارته
للمجالس التوعوية ومحاضراته التوجيهية عند اعتقاله للمنبر. خصوصا في كربلاء التي بدأ فيها
بذور نظرية اللاعنف في الاسلام.^{١٣}

المبحث الثالث - مصادر اللاعنفي عند الشيرازي

١- القرآن الكريم بالاستناد الى الآيات الخبرية التي لا يمكن ان تخضع لحكم الناسخ والمنسوخ. لان الخبر لا ينسخ الا بتغير المخبر (الله سبحانه)، او بتغير الخبر (الآيات) المعتمدة من القرآن الكريم (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)*.

أ- آيات الجنوح نحو السلم وضرورة الدخول فيه. وآياته ثمانية وردت في كل من سورة (البقرة، النساء، الانفال، محمد، النحل، الزمر).

ب- آيات الدعوة لجهاد الكلمة قبل جهاد السيف. بدأ من التفقه في الدين لإقناع الكفار والمسلمين بالإيمان ليحسن ايمان من اسلم ويسلم من الكفار ما لا حاجة لقتاله من غير المعاندين من الغافلين. وهي آيات كثيرة لا تكاد تخلوا منها واحدة من سور القرآن الكريم سواء كانت مثلاً للأنبيا السابقين ام امراً للنبي والمؤمنين والمسلمين

ت- آيات المجادلة والتي هي احسن (توظيف الفكر والمعرفة الدينيين). وآياتها ٢٩ اية وردت في ١٥ سورة (النساء، هود، غافر، الحج، النحل، المجادلة، العنكبوت، الكهف، لقمان، الانعام، الرعد الشورى، الانفال، الزخرف، البقرة، هود)

ث- آيات الاسوة الحسنة (رسول الله والسابقين في الدين من الائمة والصحابه الاوائل). وهي ثلاث آيات وردت في سورتي (الاحزاب والممتحنة).

ج- آيات العفو بوصفه احد اهم اوجه الاتفاق في سبيل الله والتزام حقوق الاجارة والاستتابة وعددها ٣٥ آية ورد اكثرها في السور المدنية (البقرة، النساء، ال عمران، المائدة ، التوبة (اخر ما نزل من القرآن)، الحج، المجادلة،)*

ح- آيات عدم المباداة بالقتال حتى مع الكفار.

٢- سنة الرسول الكريم من قول او فعل او تقرير مما نقل عنه في كتب الاحاديث من الاحاديث الصحيحة الموثوقة الحسنة المتفق عليها بين المذاهب الاسلامية على اختلاف انواعها. اذ يعزو الخلاف بين المذاهب في الاديان ومنها الدين الاسلامي الى اختلاف المصالح السياسية ودعم الدولة لاحدها على حساب المذاهب الاخرى. لتحقيق مارب راس السلطة السياسية في البقاء على سدة الحكم طيلة حياته دون وجه حق او توريثها. وهذا ما ظهر واضحا جليا في سياسية الخلفاء العباسيين في تبني احد المذاهب وقمع المذاهب الاخرى. رغم بعد جميع سلوكياتهم عن الاطر الدينية. الا ان ذلك كان احد اهم ابواب ممارسة سياسة فرق تسد. بغرس التحاسد والتغابن بين الفرق والمذاهب بتحميل فقهاء السلطة المسؤولية. الذين يحسبون على مذهبها

فأنشأوا بذلك هذا العداء المزمن بين المذاهب الاسلامية التي صارت اليوم تبتعد شيئاً فشيئاً عن غاياتها الايمانية، نحو ترسيخ اسس الخلاف بين الفئات الاجتماعية الاسلامية.

٣- سيرة الائمة عند الشيعة التي تمثل احد اهم المصادر الدينية عند جميع الفرق والمذاهب الاسلامية على الاطلاق. نظرا لما تشهد به لهم هذه الفرق والطوائف والمذاهب من العدالة الدينية. يمكن ان تبث مثل ذلك عند مراجعة اي من كتب التاريخ والحديث والتفسير ذات الاتجاه المذهبي في كل المذاهب الاسلامية. اذ يعدون ال البيت بصورة خاصة احد اهم المصادر التي تستندون اليها في اصدار تعاليمهم الدينية لاتباعهم، ويعلمون الاختلاف في التوجهات الدينية نحوهم بالافتقار الى الفهم الصحيح لفكر وسيرة ال البيت. وينسبون الحقيقة الدينية الى الافكار التي يعرضونها بطريقتهم المذهبية عن طريق تلفيق مجموعة من الاحاديث. التي تنسب اليهم دون وجه حق وقد انتبه لمثل هذه الحقيقة التاريخية الامام جعفر الصادق عليه السلام عندما سئل عن كيفية التحقق مما نقل عنهم عليهم السلام من الاحاديث والوقائع والتعاليم الدينية فقال (يعرض ما ينقل عنا على كتاب الله وسيرة الرسول الاعظم فان وافقها فهو منا والا فانه موضوع منحول لغاية في نفس واضعه يدس فيها السم بالعسل).

لقد كانت سيرة الامام السجاد خير الامثلة. التي يمكن ان يقتدى بها في اهمية الحفاظ على الكرامة الانسانية. بالحفاظ على حيات الانسان من الهدر الذي تدفع بها اليه الطموحات السياسية لبعض الذين حاولوا نيل الحظوة والسلطان والوصول الى الملك. بادعائهم احقية التأثير لأهل البيت ولمكانتهم الدينية والسياسية التي اهدرها اولئك. الذين استولوا على سدة الحكم بالقوة الغاشمة والحيلة والمدالسة. عندما استغلوا ضعف الوازع الديني لحديثي العهد بالاسلام الذين يفتقرون الى الوعي الديني الحقيقي. الذي خط اسسه المنهج النبوي وتربى عليه الصحابة الاوائل رضي الله عنهم وال البيت عليهم السلام.

٤- ما ورد عن فقهاء الاصلاح الديني في اي من المذاهب

يقوم اختيار منهج اللاعنفي عند الامام الشيرازي على واحد من اهم الاسس الفقهية وهو تزامم المهم (ضرورة توحيد البناء الفكري الديني للمسلمين وفق حقيقة دينية تعمل على فهم حقيقي للنصوص التأسيسية بكل ما تمثله من الحديث والحدث الدينيين). والاهم الذي يمثل استقرار البناء الاجتماعي الديني. فكان الاهم وجوبا تقديم الثاني على الاول كأحد الفروض الدينية واهم ابواب العبادة عند المسلمين. اذ اعتبر الشيرازي ان الاهم هو مبدأ اللاعنفي القسري العقلاني وفقاً للبناء الفقهي، وهي أن يرجح اللاعنفي من باب الأهم (الحفاظ على بيضة الاسلام) ازاء التحركات الفكرية

والسياسية للاحر الديني الخارجي والداخلي على حد سواء. فقد كانت الحركات الدينية التي ظهرت في فترة امامة الامام السجاد عليه السلام اكبر خطرا واشد وطأة على الدين الاسلامي من التحركات الخارجية التي انحسرت في اطار العداء السياسي وتوسيع او تقويض رقعة الدولة. بما ينطوي عليه من اهمية بلورة اسس الفهم الديني وفق المنهج والتربية النبوية، التي جعلت من المؤمن الحقيقي ينبذ ممارسة العنف وهو قادر عليه، لكنه يرفضه. وبهذه الأفكار النظرية وطروحاتها المتسامية. اذ يناقش (الشيرازي) مبدأ اللاعنف بقوله إن الإسلام دعى إلى اللاعنف بدأ من اللسان، استشهدا بقوله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: (لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله بغير علم)* وقال الامام علي بن أبي طالب (ع) (أني اكره لكم أن تكونوا سبابين)** لأنه يرى إن (من يملك قوة المنطق لا يحتاج إلى منطق القوة). وكانت هذه العبارة خير تعبير عن واقع حال الامام السجاد عليه السلام في تعامله مع جميع القضايا الفكرية الدينية منها والسياسية في حياته حتى بدايات العقد الاخير من القرن الاول الهجري.^{١٤}

المبحث الرابع - انواع وانماط اللاعنف عند الشيرازي

يكاد يكون سلوك العنف احد الحقائق الاجتماعية المنتشرة في المجتمعات البشرية على اختلافها يتفق علماء الاجرام والاجتماع الجنائي على انه قد ظهر مع ظهور الانسان نفسه. عندما اعتمد على السلوك العنفي في تحصيل قوته وتحسين مكانته في المنافسة الحياتية. الامر الذي دفع الكثير منا الى التصور بأن العنف جزء من الطبيعة البشرية غريزيا. ارتبط هذا النمط من السلوك الذي وصف بانه سلوك منحرف غير اجتماعي. بتوطن الجماعات البشرية في مساكن في التجمعات الحضرية التي زادت من حدة المنافسة وقلصت امكانية الحصول على الفرص. كما لعب توسع الحياة الاجتماعية وتعمدها فضلا عن توسع مفاهيمها الدور الاهم في نشوئه او دفع الافراد في اللجوء اليه. يضع الشيرازي تصنيفا مركبا للسلوك العنفي من خلال بنائه تصنيفات اوجه او انماط اللاعنف في نظريته يمكن ايجازها بالنقاط الاتية:

١ - اللاعنف الديني الذي يعده احد اهم بديهيات الدين اذ يصف مبدأ اللاعنف بأنه مبدأ ديني، أطلقته الأديان ابتداء قبل التنظيمات الاجتماعية التي يعيش فيها الافراد والجماعات. باعتبار ان الدين اكثر هذه التنظيمات فاعلية. بل ان الكثير من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا يعدونه العامل الاساسي في اختراع الانسان للأديان وجعلها الاكثر فاعلية في الحياة الاجتماعية للفرد والجماعة. كما يرى الشيرازي بأن اللاعنفيين في غالبيتهم العظمى يكونون من الملتزمين دينيا بغض النظر عن

انتماءاتهم الدينية سواء الى الاديان السماوية او حتى في الاديان الوضعية والفلسفية او حتى تلك الاديان التي تخلو من الالهة والانبياء.

٢- اللاعنّف السياسي وهو ما انحصر في نطاق العلاقة بين الإنسان والدولة بوصفها كيان تجريدي. (يقوم بتنظيم الحقوق والواجبات واهمية التزام كلاهما بها ازاء الآخر) فضلا عن علاقته بالآخرين التي تنظمها الدولة بمجموعة من الاعراف والعادات والتقاليد والقيم (عقد اجتماعي).

٣- اللاعنّف الاجتماعي: وهو أن يتمثل فيما يجب أن تكون عليه العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان. سواء بين الافراد بعضهم مع البعض الآخر او بين الافراد والجماعات او حتى على صعيد الأسرة، أو المجتمع ككل متكامل. فإن الدين الإسلامي يرسم لنا من خلال أحكامه صوراً لهذه العلاقات ملؤها الحب والتسامح والعفو.

يتسع البناء الفكري لنظرية اللاعنّف في الاسلام عند الشيرازي ليعمل على تناول اوجهه في تصنيف مستوياته

١- لاعنف اليد اليد هنا اشارة الى جميع ما يمكن ان يمتلكه الانسان من انماط وانواع القوة او تلك التي يستطيع الوصول اليها بالاعتماد على الآخرين من عصبته (ابن خلدون). ويتمثل في ان لا يمد الإنسان يده للآخرين بالإيذاء والاستيلاء بغير حق. الامر الذي يضمن الحفاظ على مجريات الامور الحياتية في اطارها التنافسي. الذي يعمل على تطوير المجتمعات وخراجها في الاطار الصراعى. الذي يعد العامل الاساسي في تفكك المجتمعات وتخلّفها. يشتمل ذلك على الأقوى خصومة من خصومه حتى لو كان مد اليد لرد الاعتداء (وأن تعفو أقرب للتقوى)* وهذا لا يعني أن لا يقي الإنسان نفسه وجسمه من الضربات الموجهة إليه، وإنما يقيها من العنف اذ ان عنف اليد ولود للأحقاد والضعائن، وهو ارض خصبة لنشر الفتن. فالعنّف اليدوي ضرورة محتمة بالنسبة إلى من لا قوة له. واللاعنف موجود في المسيحية كما في الإسلام. ففي تعاليم السيد المسيح (ع) (لقد قيل لكم من قبل أن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم: لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضربك خدك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه أزارك وإن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين)**.

٢- لاعنف اللسان هو أن يلجم الإنسان لسانه ويلزم كلامه عن النيل من الآخرين. حتى وإن كانوا من المعتدين باليد أو للسان وهو فضيلة كبرى يترفع فيها الانسان عن ممارسة افعال ينكرها العرف والدين. تكون منجاة له من جره قسرا بالاستفزاز يلزم على ممارسته أصحاب كل دعوة

وأن خشن مركبه وصعب قياده. ليعطوا بذلك مثلاً على رحمة ولين دعوتهم وتسامحها وشمولها العامة والخاصة من العالمين.

٣- لاعنف القلب اللاعنف القلبى هو عدم إضرار الشر وتحين فرصه للانتقام. عندما يملأ الإنسان قلبه باللعنف فانه يشغل فكره عن العبادة وتطوير حياته. بالتفكير بوسائل الانتقام. الامر الذي يولد خشونة القلب التي ستدفع ان عاجلاً او اجلاً الى الاضرار بالنفس، نتيجة لتركز الدوافع حول الانتقام دون النظر الى احتساب العواقب. وقد وقف الامام السجاد من مثل هذا النمط من العنف موقفاً يستحق ان يكون الاسوة الامثل للأولين والآخرين. فرغم كل ما تعرض له الامام وما تعرضت له أسرته في وقعة الطف الا ان ذلك لم يلهه عن عبادته. فسلامة النية وحسن الطوية من اكثر العلامات تأثيراً في الاشارة الى قوة المؤمن وال بيت النبوة هم اكثر صورة الايمان نقاء.^{١٥}

الاستنتاجات

١- لم يمارس الامام السجاد المسكوت عنه طلية فترة توليه امامة المسلمين الدينية. كما لم يجاهر بضرورة حرب الفئات التي خرجت عن الاطار الاسلامي العام، نحو تفسيرات مأخوذة من الاديان السابقة للاسلام. بل عمل على توضيح الاسس الدينية للاختلاف الديني من خلال سيرته وفكره.

٢- لم يقتصر النشاط الديني للامام السجاد على البكاء والعبادة والصلاة والاستغفار لنفسه. بل امتد الى استخدام هذه الوسائل كواحدة من اهم وسائل نشر الوعي الديني بين الافراد والجماعات الاسلامية. هذا ما تثبته المضامين الاجتماعية لرسالة الحقوق والصحيفة السجادية اذ اقتدى هو بالامام علي بن ابي طالب عليهما السلام ليقتدي الناس به

٣- تبلور اللاعنف واهميته الدينية في سيرة وفكر الامام السجاد بالحدز الفكري. عندما عمل على تقديم الفروض الدينية على السياسية حفاظاً على ارواح المسلمين من ان تزهق بيد بعضهم البعض الاخر.

٤- احتل الاصلاح الفكرية الاهمية القصوى في فكر وسيرة الامام السجاد عندما رفض تأييد الاصلاح السياسية بالعنف وظهر واضحاً جلياً في موقفه من المعارضة السياسية في وقعة الحرة وعين الوردية.

٥- احتل الامام السجاد احد اهم المحاور الفكرية لنظرية اللاعنف عند الامام الشيرازي بسبب طبيعة وتأثير الظروف الاجتماعية والنفسية لحياة الامام وما تعرض له من ماسي في واقعة الطف هو وجميع ال بيت النبوة.

الخاتمة

نادى الإمام الشيرازي بمبدأ التغيير في كل مجالات الحياة في جميع المجتمعات الاسلامية. اذ تعد هذه اللفتة الفكرية استجابة لسؤال النهضة الذي ارق العرب والمسلمين على حد سواء. من خلال شعورهم بضرورة مواكبة حركة التطور الطبيعي للتاريخ في سرعة واتجاه التغيير الاجتماعي. فنادى باستخدام مبدأ اللاعنف بكل اشكاله واصنافه ومستوياته في جميع مجالات الحياة. فقد رفض العنف والعدوان كأسلوب لحل المشكلات باعتبارها من الأساليب التي تؤثر في حياة الفرد والمجتمع. فيرى الشيرازي إن السلام يصل بصاحبه إلى احسن النتائج.

تعد نظريته مساهمة ومواكبة للتمدن والتغيير الاجتماعي لتعتمد على مبادئ في ميدان التطبيق الواقعي، على الرغم من رفضه جميع أنواع التسلط والتعسف والقهر الاجتماعي الذي تمارسه المؤسسة السياسية على الافراد والشعوب في سياق التعاملات الفردية والجماعية، فاكّد على مبدأ اللاعنف كحقيقة لا يرقى إليها الشك إطلاقاً في انها واحدة من المضامين المهمة في الدين الإسلامي فعند الشيرازي قوة الروح غالبية على قوة الجسد وملكة (قدرة Ability) اللاعنف من صفات الروح التي تؤثر في سلوك الإنسان وتصرفاته، ويضيف (الشيرازي) بتعميم أوسع عن مبدأ اللاعنف بقوله: على الذين يريدون تطبيق الاسلام ان يتحلوا بملكة السلام واللاعنف.

ناقش (الشيرازي) السلوك الإنساني في الواقع الاجتماعي من خلال تداعيات النفس الانسانية في قوتها وضعفها، غيها وارتدادها، لطفها وسماحتها، محاولاً اعادة بناء الشخصية الاجتماعية المسلمة فالإنسان لابد أن يخضع للطريق القويم، حيث يرى ان الإنسان مسالم حازم عاقل مفكر مدبر، فإذا لقن نفسه بهذا التلقين ليله ونهاره، وشهره وسنته فانه يتطبع بطابع السلم.

(فالشيرازي) يرى أن النفس البشرية تمتلك الخصائص النوعية لتدعيم السلوك الانساني الموجب من خلال قوة التطبع بطابع السلم والمسالمة، فاتجاهات التطبيع الاجتماعي (Socialization) والنفسي والأساليب الموصوفة تتشابه تشابهاً كبيراً في التربية وفي المجتمع الواحد والتنشئة الاجتماعية، لا تعكسه معطيات البحث التجريبي، لكنه يتطابق مع النمط السائد، وقد تبين أن التدريبات الموصى فيها تتغير تغيراً شديداً من فترة إلى أخرى. ان البحث في تأثيرات اساليب التطبيع عامة يكمن في العلاقة بين سلوك الابوين وشخصية الطفل في عدد كبير من الأسر.

المصادر

- (١) القرآن الكريم
- (٢) الكتاب المقدس
- (٣) احمد ابو زيد، البناء الاجتماعي، الجزء الاول، المفهومات، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ١٩٨٧

- ٤) الامام علي، نهج البلاغة
- ٥) الشبكة المعلوماتية، موسوعة ويكيبيديا
- ٦) صلاح كاظم جابر، الاصلاح الاجتماعي بين علمنة الدين وتدين العلمانية، مجلة لارك، كلية الآداب جامعة واسط، العدد ١٢، ٢٠١٣
- ٧) صلاح كاظم جابر، المضامين الاجتماعية للعمل في الاسلام، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القادسية، ٢٠٠١
- ٨) صلاح كاظم جابر، مبادئ دراسة الاجتماع الديني، ملزمة منهجية، لطلبة المرحلة الرابعة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القادسية، ٢٠١٧
- ٩) محمد الحسيني الشيرازي، السبيل الى انهض المسلمين مؤسسة التقى كربلاء ١٩٩٣
- ١٠) محمد الحسيني الشيرازي، العنف في الاسلام مؤسسة الفكر الاسلامي بيروت ١٩٩٤
- ١١) محمد الحسيني الشيرازي، اللاعنفي في الاسلام، مؤسسة المجتبى، بيروت، ٢٠٠٢
- ١٢) محمد الحسيني الشيرازي، مساوئ الفرقة مؤسسة التقى كربلاء ١٩٩٣
- ١٣) محمد امين غالب الطويل، تاريخ العلويين، مطبعة الترقى، اللاذقية، ١٩٢٤
- ١٤) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، ١٩٨٤

الهوامش:

- ١ محمد امين غالب الطويل، تاريخ العلويين، مطبعة الترقى، اللاذقية، ١٩٢٤، ص ١٢٦-١٣٦
- ٢ صلاح كاظم جابر، مبادئ دراسة الاجتماع الديني، ملزمة منهجية، لطلبة المرحلة الرابعة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة القادسية، ٢٠١٧
- ٣ المصدر نفسه
- سورة البقرة، الآية ٢٩
- ٤ المصدر السابق
- ٥ المصدر السابق
- سورة البقرة، الآية ١٨٧
- ٦ صلاح كاظم جابر، المضامين الاجتماعية للعمل في الاسلام، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القادسية ٢٠٠١، ص ١٤٣-١٥٢
- ٧ صلاح كاظم جابر، الاصلاح الاجتماعي بين علمنة الدين وتدين العلمانية، مجلة لارك، كلية الآداب، جامعة واسط، العدد ١٢، ٢٠١٣، ص ١٨١-١٨٣
- النظام الاجتماعي (Social system) هو مجموعة القواعد التي تحكم اداء الدور في سياق نسق القيم (محمد عاطف غيث قاموس علم الاجتماع ص ٤٤٦-٤٤٧)
- ٨ المصدر السابق
- ٩ المصدر نفسه

- ١٠ احمد ابو زيد، البناء الاجتماعي، الجزء الاول، المفهومات، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ١٩٨٧، ص ١١٤-١٣٠
- ١١ المصدر نفسه
- سورة الانبياء، الآية ١٠٧
- اعتمد الباحث في تلخيصه لنظرية اللاعنف على مجموعة كتب الفت حول نظرية الامام الشيرازي اللاعنف في الاسلام فضلا عن كتابه اللاعنف في الاسلام الذي نشرته مؤسسة المجتبى ببيروت ٢٠٠٢ وكتاب مساوي الفرقة ، كتاب السبيل الى انهاض المسلمين، وكتاب العنف في الاسلام
- ١٢ الشبكة المعلوماتية، موسوعة ويكيبيديا
- ١٣ المصادر السابقة
- سورة الحجر، الآية ٩
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، ١٩٨٤
- سورة الأنعام، الآية ١٠٨
- الامام علي، نهج البلاغة
- ١٤ المصادر السابقة، محمد الحسيني الشيرازي، اللاعنف في الاسلام ، مساوي الفرقة، العنف في الاسلام، السبيل الى انهاض المسلمين
- سورة البقرة، الآية ٢٣٧
- الكتاب المقدس
- ١٥ المصدر السابق
- اعتمد الباحث على الموسوعة الالكترونية للحديث النبوي الشريف في تخريج الاحاديث الواردة في متن البحث